جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

الميدان: العلوم الاجتماعية

التخصص تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: زينب بالخير

بعنوان:

طبيعة الشك عند الغزالي

نوقشـــت وأجـــيزت بتاريخ :

أمام اللجنة المكونـــة من الأساتذة :

الأستاذ/ طاهير رياض .....(**جامعة قاصدي مرباح – ورقلة**).....**رئيسا**

الأستاذ/ بن قويدر عاشور....(**جامعة قاصدي مرباح – ورقلة**)..... **مشرفا**

الأستاذ/ زيغمي أحمد.....(**جامعة قاصدي مرباح – ورقلة**)..... **مناقشا**

الموسم الجامعي: 2017/2016

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

الميدان: العلوم الإجتماعية

التخصص تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: زينب بالخير

بعنوان:

طبيعة الشك عند الغزالي

نوقشـــت وأجـــيزت بتاريخ :

أمام اللجنة المكونـــة من الأساتذة :

الأستاذ/ طاهير رياض .....(**جامعة قاصدي مرباح – ورقلة**).....**رئيسا**

الأستاذ/ بن قويدر عاشور....(**جامعة قاصدي مرباح – ورقلة**).....**مشرفا**

الأستاذ/ زيغمي أحمد.....(**جامعة قاصدي مرباح – ورقلة**).....**مناقشا**

الموسم الجامعي: **2017/2016**

إهداء

إلى دنيتي التي لا توفي الكلمات حقها .

إلى والدي العزيز أدامه الله لي .

إلى إخوتي و أخواتي : فاطمة ، حليمة السعدية ، أسامة ، مُحَمَّد ، بلال ، حمزة, مروة ، صفاء ، رزيقة و الأميرة ساجدة .

إلى الكتاكيت : عماد ، هبة الرحمن ، مُحَمَّد عبدو ، أحمد ، أماني ، إكرام و ريهام .

إلى خطيبي حسان مرابطي .

إلى بنت عمتي سميرة ستال وفقها الله في مشوارها العلمي و العملي .

إلى صديقاتي: سارة, نجاة, يمينة, ماجدة, كوثر, إيمان,نعيمة, نوال, حسناء, مريم, وردة, جميلة, زينب و هناء.

الشكر و تقدير

نشكر الله عز و جل الذي أعاننا و وفقنا على إنجاز هذا العمل .

كما نتقدم بالشكر للذي لا تفي العبارات حقه الأستاذ "بن قويدر عاشور" الذي لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته بإشرافه على هذه المذكرة .

و نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

زينب

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الشك ظاهرة نفسية و روحية حيث يصيب الإنسان، فيجعله يشك في كل شيء حوله و يصل به الشك حتى في وجوده، و لكن الشك كأزمة نفسية يمر بها الإنسان تختلف كل الاختلاف بين الشك لدى الإنسان العادي و الشك لدى الفلاسفة و المفكرين، فالشك عند الفيلسوف تكون ميزته البحث عن الحقيقة أو اليقين، حيث يجعله الفيلسوف الشاك وسيلة للوصول إلى المعرفة الحقة، و نجد الفيلسوف أبو حامد الغزالي نموذجا للفيلسوف الشاك فهو من أكثر المفكرين المسلمين شهرة و يعد أكبر مفكر حدث جدل حول فكره ، خاصة مسألة الشك عنده و التي تناولوها بالدراسة و التحليل ، ولعل أهم نقطة أجمع حولها بعض المفكرين هي أن الغزالي فهم العقل و العقلانية، في حين ينصب البعض الأخر إلى أن الغزالي يعد "حجة الإسلام" فهو الوحيد الذي لم يكتفي مثل علماء الكلام، و غيرهم بإقتباس مشاكل و نظريات الفلاسفة أو تبنيها ، بل حاول ساعيا لتهديم كل ما أنشأه الفلاسفة الإسلاميون على أساس الفلسفة اليونانية رافضا المعارف ذات البراهين الضعيفة، وراح يشك في كل شيء بغية الوصول إلى معرفة الحقائق معرفة يقينية، ولهذا موضوع دراستنا يتمركز حول طبيعة الشك عند الغزالي انطلاقا من الإشكال التالي : ما مفهوم الشك عند الغزالي ؟ وهل قاده هذا الشك إلى اليقين أم بقي في أزمته الشكية ؟ وهذه الإشكالية تتضمن أسئلة فرعية هي:

- ما هي مراحل أزمة الشك عند الغزالي ؟
- ماذا ترتب عن شكه ؟

- ما هي أهم نتائج شك الغزالي ؟
- هل يشبه شك الغزالي شك غيره من الفلاسفة أمثال ديكارت؟

لقد إعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التحليلي التاريخي المقارن.

ويعود سبب إختيارنا لهذا الموضوع إلى أهمهتيه من ناحتيين :

- الناحية الأولى : ميولنا و رغبتنا القوية لدراسة مسألة الشك عند الغزالي .
- الناحية الثانية : هي أن الغزالي مثل في عصره نموذجا من المناهج التي كانت سائدة أنذاك و نقصد هنا منهج الفلاسفة و منهج علماء الكلام و منهج الباطنية .

هي أن الغزالي يمثل التيار الديني في الفكر الإسلامي الذي يدعو إلى ترك التقليد و الدعوة إلى حرية التفكير.

و نهدفا من خلال هذه الداسة إلى تبيين أثر الشك المنهجي في فكر الغزالي و في فلسفته كلها كما نهدف إلى تبيين قيمة فكر الغزالي .

فقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة و ثلاث فصول و خاتمة حيث خصصنا الفصل الأول للإشارة إلى حياة أبو حامد الغزالي و الحديث عن شكوك الفلاسفة اليونانيين القدامى و بيينا طريقتهم الشكية التي استخدموها و اشتهروا بها ، أما فيما يخص الفصل الثاني وهو الفصل المهم في هذا البحث حين عرضنا فيه أزمة الشك التي مر بها الغزالي و المراحل التي مر بها

أثناء شكه و كيف وصل إلى اليقين ، موضحين اهتمام الغزالي بدراسة الفرق و شرحه جميع نظريتهم محاولا إظهار تناقضها و فساد نتائجها .

وفي الفصل الثالث قمنا بعقد مقارنة بين الشك عند الغزالي و الشك عند ديكارت موضحين أوجه التشابه و أوجه الاختلاف بينهما .

وتجدر بنا الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الصعوبات قد واجهتنا في معالجة هذا الموضوع تلك الصعوبات التي فرضتها طبيعة الموضوع بحيث لمسنا فيه من التعمق الشيء الكثير ، ولعل هذا هو السبب وراء اختلاف الآراء حول فكر الغزالي، و هو ما شكل لنا صعوبة أخرى، لكن مع ذلك نتمنى أن يكون بحثنا هذا قد وفى حقه من الفهم وقلل من درجة الغموض.

الفصل الأول

أبو حامد الغزالي ومفهوم الشك

المبحث الأول: حياة الغزالي.

أولا: مولده ونشأته.

من مواليد(1111.1058م)،(505.450 هـ)، هو أبو حامد حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي ،ولد في طوس إحدى مدن خراسان من اسرة فقيرة الحال ،إذكان أباه يعمل في غزل الصوف و بيعه.

ابتدأ طلبه للعلم في صباه عام465هـ ، فالتحق بإحدى المدارس الشهيرة في طوس ،حيث اخذ يتعلم الفقه على يد الشيخ الإسماعيلي، وفي عام 473هـ رحل الغزالي إلي نيسابور و التحق بمدرستها النظامية، حيث كان يدرس أمام الحرمين ،ضياء الدين الجويني ،فاخذ الغزالي عن أستاذه الفقه و المنطق، و أخذ عنه الجرأة في النظر ،و خروجا عن مسالك التقليد، و كان الغزالي متفوقا،فأعجب به أستاذه و جعله مساعدا له في التدريس.

وبعد رحلته لنيسابور إنتقل أبو حامد الغزالي إلى بغداد حيث درس بالمدرسة النظامية حتى أعجب به الناس لحسن كلامه و فصاحة لسانه ، وكمال أخلاقه.[1]

حيث كان مدرسا في بغداد فدرس العلم، فكان له أثر كبير و بصمة واضحة في عدة علوم مثل الفلسفة و علم الكلام و التصوف و المنطق، حيث لقب بالإمام لمكانته العالية أثناء التدريس بالمدرسة النظامية ، فكان يدرس أكثر من 300 من الطلاب في علم الكلام و أصول

[1] – يوحنا قمير . **فلاسفة العرب "الغزالي"** .(ط3 ، بيروت: منشورات الطبعة الكاثولكية ، ج1)، ص 07.

الفقه، إنهمك الغزالي في البحث والاستقصاء والرد على الفرق والمذاهب المخالفة فألف كتابه "مقاصد الفلاسفة" مهاجما مجموعة من الطوائف والمذاهب مبينا تهافت منهجهم وهاجم أيضا الفكر الباطني وهم اللإسماعيلية الذي كان منتشرا في وقته، بعد هذه الخطوات المهمة في حياة الغزالي ، قرر اعتزال الناس و التفرغ للعبادة متأثرا بذلك بالصوفية ، فإنفرد بنفسه وعاش عيشة الزهاد عدة أعوام ثم عاد إلى حياة التدريس إلى أن توفي سنة 1111 م[1].

نلاحظ أن حياة الغزالي كانت عبارة عن عدة رحلات غي التدريس و كذلك مروره بعدة مراحل مهمة في حياته الفكرية، فقد خاض في الفلسفة ثم رجع عنها و رد عليها و خاض بعد ذلك فيما يسمى بعلم الكلام و أتقن أصولة و مقدماته ثم رجع عنه ونقد الباطنية كذلك وأظهر بطلان عقائدهم و تلاعبهم بالنصوص و الأحكام ثم سلك مسلك التصوف فهذه هي أهم أربع أطور مر بها أبو حامد الغزالي في حياته الفكرية.

ثانيا: مؤلفات أبو حامد الغزالي.

لقد ألف الغزالي العديد من الكتب التي لها قيمة كبيرة عبر التاريخ فرغم أزمته النفسية والشكوك التي أمرضته إلا أنه ألف كتبا يشهد لها التاريخ ونذكر أهم مؤلفات الغزالي التي شملت عدة أقسام:

أ- **في الفلسفة:** كتاب مقاصد الفلاسفة و هو موجز للعلوم الفلسفية ، إذ بسط فيه الغزالي المنطق وما وراء الطبيعة، و الغاية من تأليف هذا الكتاب على حسب رأي الغزالي هو أن هذا

[1]- يوحنا قمير، المرجع السابق، ص 08.

الكتاب ما هو إلا توضيح لكلام الفلاسفة و بذلك فلا يكون فيه الغزالي سوى عارضا محايد لجميع البراهين التي ظنوا أنهم استطاعوا أي الفلاسفة أن يقدموها لمصلحتهم، فغاية هذا الكتاب إذن هي عرض مقاصد الفلاسفة و هذا هو إسمه.

كتاب تهافت الفلاسفة وهو من أهم كتبه الفلسفيه قصد به الرد على ابن سيناو الفارابي.

ب . في علم الكلام: كتاب إلجام العوام عن علم الكلام.

كتاب الرسالة اللدنية.

ج- في التصوف: كتاب إحياء علوم الدين و مكون من أربعة أجزاء ، قسم كل جزء منها إلى عشرة كتب و قد عالج فيه الغزالي أداب الدين و الأخلاق و التربية و التصوف.

- ميزان العمل.
- مشكاة الأنوار.[1]

وقد ذكر أيضا عبد الرحمان بدوي العديد من كتب الغزالي في كتابه مؤلفات الغزالي نذكر منها بعض الكتب:

- التعليقة في فروع المذهب.
- البسيط في الفروع.
- الوسيط.

[1]- د. كامل محمود، **دراسات في تاريخ الفلسفة العربية**، (ط1 ، بيروت: دار الفكر اللبناني) ، ص 167 .168 .

- الوجير.
- المنتحل في علم الجدل.
- المبادئ و الغابات.
- معيار العلم في المنطق.
- مشكاة الأنوار.[1]

من خلال عرضنا لمؤلفات الغزالي نجد أن هنالك الكثير من الكتب التي لم يتسنى لنا ذكرها، فالغزالي كان ذو فكر غزير وسعة إطلاع، و فصاحة لسان تلك التي جعلته يؤلف العديد من الكتب في مختلف صنوف العلم، التي مازال أثرها في الفلسفة الإسلامية، وفي الفلسفة عامة إلى حد الأن.

[1]. عبد الرحمن بدوي ، **مؤلفات الغزالي** ،(ط2 ، الكويت : نشر وكالة المطبوعات ، 1977)،ص8. 14 .

المبحث الثاني: مفهوم الشك و أنواعه

أولا: تعريف الشك.

1. الشك في اللغة:

لفظ "الشك" مأخوذ من شك يشك شكا و يجمع على الشكوك وفي معاجم اللغة توجد معان كثيرة لمادة {الشين و الكاف} منها:

1. **الشك بمعنى التداخل:** قال ابن فارس: "الشين و الكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض، و هو يدل على التداخل من ذلك قولهم شككته بالرمح، و ذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه" [1]
2. **الشك بمعنى نقيض اليقين** : فالشك يستخدم كمقابل لليقين فنقول شككت في الأمر و شككت فيه بمعنى دهب يقيني أو نسمي بذلك لأن الشاك كأنه شك له الأمران في مشك واحد، و هو لا يتيقن واحدا منهما ، فمن ذلك اشتقاق الشك ، نقول: شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما. [2]

[1]– أبي حسين أحمد بن فارس بن زكرياء ،(**معجم مقاييس اللغة**، بتحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع)، ج 3 ، ص 173 .

[2]– المرجع نفسه ص 173.

نجد في موسوعة الفلسفة أن الشك يعتبر حالة نفسية يتردد معها الدهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم، وذلك بالجهل بظروف الموضوع وجوانبه، أو العجز عن التحليل والبحث في الموضوع. [1]

2. الشك بالمعنى الفلسفي.

قبل أن نذكر كيف هو الشك بالنسبة للفيلسوف، يجب علينا أن نشير أن هناك ارتباطا وثيقا بين العالم والفيلسوف، من حيث أن كلا منهما يتخذ من الشك منهجا أو وسيلة في التفكير ، فالعالم لا يضع في حسبانه نتائج معينة أي لا أنه لا يتوقع نتائج معينة أي أنه لا يتوقع نتائج معينة وهو مقدم على بحوثه العلمية كما هو الحال أيضا بالنسبة للفيسلوف، وهو أيضا لا يتوقع نتائع معينة في شكه، ولهذا عرف الشك الفلسفي على أنه الوقوف أمام مجموعة من المتغيرات أو من الاختيارات و هذا يتطلب منا أن نلقي ببعض الضوء على معنى الفلسفة حتى تتضح لنا الصورة الذهنية، التي نعنيها عندما نذكر الشك الفلسفي، فالفيلسوف يجب أن يمر بمرحلة الشك الفلسفي حتي يتسنى له أن يختار من بين المتغيرات مستمرة التدفق وفي حياة الفيلسوف.[2]

كما يعتبر الشك ظاهرة صحية ووظيفة ذهنية، ودلالة على تمتع المرء بالعقل، وذلك لأنه يشك ويفكر محاولا الوصول إلى اليقين، والشك لابد أن يمارسه المرء بغير إفراط وبغير تفريط، فإذا مارس المرء الشك بإفراط أصبح يشك في أي موقف أو في أي فكرة التي لا ينبغي الشك فيها وهذا النوع يعتبر شخصا غير عاقل، ونجد أنه يقال أيضا نفس الشيء عن الشخص الذي لا

[1] – د. إبراهيم مذكور . **المعجم الفلسفي** . (القاهرة . 1403 هـ . 1983 م)، ص 104.

[2] –. يوسف مخائيل أسعد، **سيكولجية الشك**، (نشر مكتبة غريب)، ص 145.

تنبعث فيه أي حيرة أو شك في المواقف أو الأفكار التي تستوجب الشك فيها، فهذا النوع يكون صاحبه يعاني أو مصابا بداء الإمعية، ونقصد بهذه الأخيرة التصديق الساذج بغير إعمال الفكر أو بغير اللجوء إلى النقد، أي أن صاحبه يتقبل أي فكرة دون أن يستخدم عقله ودون محاولة معرفة الأسباب، فيكون موقفه اتجاه الفكرة القبول بها دون أي مبررات وهذا يعني أن هذا الشخص لا يتمتع بصحة نفسية جيدة.[1]

من خلال تعريفنا للشك عبر العصور المختلفة، وما تعرضنا له من خلال السرد التاريخي لهذه الظاهرة، قد إتضح لنا أن الشك ليس على صورة واحدة وليس على نوعية واحدة بل هو مختلف من ناحية منشأه و منهجيته و النتائج التى توصل إليها.

ثانيا: أنواع الشك.

من خلال تعريفنا للشك لغة و اصطلاحا، اتضح لنا أن الشك أنواع متعددة، فهو عند البعض عبارة عن نظرية في المعرفة، و قد أعتمد عند الكثير من الفلاسفة منهجا للتفكير، وبقيت له قيمته في البحث الفلسفي والعلمي في مختلف صوره وأنواعه.

ولعل من أهم أنواع الشك التي سنوضحها ما يلي:

أ- **الشك الحقيقي:** صاحب هذا النوع من الشك يبدأ شاكا وينتهي شاكا، و يكون هذا الشك غاية وليس وسيلة إلي غاية أخرى، يهدف إلى تحقيقها كاليقين أو المعرفة

[1]- . يوسف مخائيل أسعد ، المرجع السابق، .ص145.

الصادقة، أي أن الشك الحقيقي ليس وسيلة يستخدمها الشاك للوصول إلى اليقين، وهو الشكل الذي يتضمن استحالة انعدام الثقة في أدواته.

ب- **الشك المنهجي:** وهو المنهج الذي يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض إرادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات، محاولات بذلك تطهير عقله من كل ما يشوبه من أكاذيب ومغالطات وأضاليل، وتدريبه على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية.

والإنسان بطبيعته له بعض الأحكام والتصورات الخاطئة يقول الدكتور توفيق الطويل: هذا الشك المنهجي خير طريقة لإنقاذ هذه الأخطاء، فهذا النوع من الشك هو خطوة توصلنا إلى اليقين، وتؤدي بنا إلى المعرفة الصادقة، فهو وسيلة وليس غاية في ذاته، يزاوله الباحث بإرادته و هو عبارة عن مرحلة مؤقتة يمر بها الباحث للوصول إلى الحقيقة باعتباره منهج للتفكير، فلابد أن يكون استخدامه مؤقتا لحين تحقيق أهدافه المرجوة منه، أم المذهب فيبقى دائما لأنه مطلوب في ذاته[1].

بعد عرضنا لأنواع الشك يمكن القول أن الشك الحقيقي يختلف كل الاختلاف عن الشك المنهجي فهذا الأخير هو وسيلة يتخذه الباحث أو الفيلسوف للوصول إلى الحقيقة فهذا النوع من الشك كان لدى كل من الغزالي وديكارت حين اتخذه كل منهما منهجا للتفكير.

[1] . د. توفيق الطويل **. أسس الفلسفة** (ط3 ، نشر و طبع مكتبة المبصرة) ، ص 239 ، 240 .

المبحث الثالث: الشك عند الفلاسفة القدامى

أولا: الحركة السوفسطائية*.

في هذا المبحث سنعرض كيف كانت نظرة السوفسطائين للشك، وكيف كانت طريقة شكهم و فيما تمثل شكهم و قبل عرضنا لهذه النقاط يجدر بنا أولا أن نقدم لمحة أو أن نشير إلى السوفسطائية و نتحدث عن أهم مبادئهم.

إن الأصل الحقيقي لمعنى كلمة سوفسطائي هو المعلم أو معلم الخطابة حيث ظهرت السوفسطائية في النصف الأخير من القرن 15 قبل الميلاد، على يدي مجموعة من المعلمين الذين إستغلوا الظروف الإجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من الحضارة اليونانية، ومن أهم مبادئهم إعتبار الحواس وسيلة للمعرفة وليس العقل، فالمعرفة عندهم نسبية تختلف من شخص لأخر و ليس هناك حقيقة ثابتة. [1]

إن لكل واحد من السوفسطائين شخصية خاصة به، وهناك من يشتركون في بعض الخصائص الفكرية، و تحتل الخطابة مكانا رئيسا في نشاطهم حيث يقتصر هدفهم على تكوين المواطن وهو هدف عملي ولعل أبرز من يمثل هذه النزعة:

1. بروتاجوراس: شك بروتاجوراس في الدين الوثني الذي كان سائدا في عصره وألف كتابا عن آلهة اليونان رأى فيه انه لا يعرف إن كانت الآلهة موجودة أم غير موجودة لأن الموضوع

1- عزت قرني، **الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون** (ط2، جامعة الكويت، النشر العلمي، 2003) ص 78.

* **السوفسطائية:** نسبة إلى سوفسطيون يدل في الأصل على المعلم وبنوع خاص على معلم البيان.

غامض وفي هذه الفكرة هاجمه اليونان, وواضح أن بروتاجوراس كان شكه حول إمكانية معرفة الآلهة وحول وجود أو عدم وجود الآلهة ولذلك يعتبر شكه شكا جذريا، والسبب الذي جعله يتخذ هذا الموقف هو الغموض في الموضوع إلى أن الآراء كثيرة ومختلفة في الموضوع وهي في نفس الوقت متعارضه فيما بينها، وهذا ما يجعلنا لا نصل إلى نتيجة متشابهة، ولهذا وضع بروتاجوراس شرطا أساسيا في إمكان المعرفة وهو أن يكون الموضوع واضحا.

ومن هذا المنطلق نستنتج أن شك بروتاجوراس كان يقتصر على وجود الآلهة، وإمكانية المعرفة، و نلتمس في شكه أنه شك في المعارف التي تتعلق بإصدار أحكام يقينية لدى الإنسان مع العلم أنه صاحب المقولة الشهيرة (الإنسان مقياس الأشياء جميعا) [1].

2. جورجياس: (480 . 375 ق م) يعتبر من أشهر السوفسطائيين القدامى وأكثرهم جدلا وشكا، وأكثر من نظر للوجود والمعرفة وما يتعلق بها، وتتلخص فلسفته في قضاياه الثلاث حول نفي الوجود، وفيها يبرز تطرفه وجدله وقد ضمنها في كتابه (االلاوجود) وهي كالتالي:

القضية الأولى: لا يوجد شيء، فالموجود غير موجود واللاوجود كذلك، وهذا الوجود إما أن يكون قديما أو حديثا.

القضية الثانية: إذا وجد شيء لا يمكن لنا معرفته أو إدراكه أي أن المعارف التي يجب إدركها يجب أن تكون مطابقة للوجود و هذا الذي لا يمكن لنا أن نتوصل إليه لأن في أغلب الأحيان،

[1] – عزت قرني، المرجع السابق، ص 93.

و السبب يرجع إلى الحواس خادعة و تركيبها صورا متخيلة لا حقيقة لها في الواقع و في الوجود.

القضية الثالثة: إذا فرضنا أن تمكنا من الإدراك و المعرفة إلا أننا رغم الإدراك لا يمكن لنا أن تنقله إلى الغير، و يبرر موقفه إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة بإعتبارها أداة تواصل بين الأفراد فنحن ننقل من خلالها الألفاظ ولا ننقل لهم الأشياء فاللغة و الوجود دائرتان مختلفان متخارجتان. [1]

ومن خلال أرائه في الوجود يتضح موقفه من المعرفة التي رفضها تماما، المحسوس منها والمعقول، حتى أنه أنكر الإدراكات الضرورية كالحلم والتخيل والتفكير.

ثانيا: مدرسة الشكاك :

تقوم فلسفة هذه المدرسة في الشك على أن الهدف الأساسي للإنسان من الحياة هو العيش في سعادة، في وقت ازداد فيه عدد المذاهب واشتد تعارضها، حيث كان الشاك هنا همه الوحيد هو الإيمان بالحق والخير وذلك لأن بيئته اشتدت فيها الأفكار وفسدت فيها الأخلاق، فكان يرى أنه من الضروري الرجوع إلى العقائد والتقاليد كوسيلة إلى الراحة والطمأنينة[2]، وإمام اللاأدرية بيرون Pyron (365ق م، 275 ق م)، المعروف بأنه صاحب اللاأدرية وفلسفته قائمة على الصدق وهدفه من هذه الحياة هو العيش في سعادة فهو يرى أنه لا يمكن لنا أن

[1] . يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة والترجمة اليونانية** (ط5، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966)، ص 46.
[2] . المرجع نفسه، ص 234.

نعلم حقيقة الموجودات لأن المعرفة العقلية مردها إلى الحس، فهو يتخذ موقف اتجاهها وهو التوقف عن إصدار أي حكم بصدد حقيقتها بل يجب الوقوف عند ظواهرها وأن نعلق الحكم، ومن أهم آرائه أن كل قضية تحتمل قولين ويمكن إيجابهما وسلبهما بقوة متعادلة، والحكمة بالنسبة إليه في العدول عن الإيجاب والسلب والامتناع عن الجدل والوقوف عند الظواهر، وهذا يعني أن الشك لا يتناول الظواهر، لأنها بينة في النفس لكنه يتناول الأشياء في ذاتها[1]، و إلى جانب هذه المدرسة ظهرت مدرسة أخرى عرفت بالأكاديمية الجديدة أو مايسمى بمذهب الاحتمال، ظهرت هذه المدرسة في منتصف القرن الأول ق م ويعتبر أرفاسيلاس (316 ، 241ق م)، هو أول من قال بالاحتمال، الذي كان متمكنا وبارعا في الخطابة والجدل، وسلط اهتمامه على منازلة زينون الإيلي وأصحابه وهاجم نظرية الفكرة الحقيقية، فأنكر أن التصديق يجب أن يكون على قضية وليس على فكرة، وجاء قرنيادس الذي جادل الرواقيين على الخصوص، حيث وجه نقده إلى العقل والحواس والعرف وقال بالاحتمال والترجيح، ووضع لذلك ثلاثة شروط الشرط الأول هو الانتباه فكلما انتبهنا إلى التصورات وضحت لنا مع احتفاظنا برأينا، والشرط الثاني يتمثل في عدم تناقض التصورات، والشرط الثالث هو امتحان التصورات في جميع تفاصيلها، وهذه الشروط ما هي إلا محك للتصورات فقط والاحتمال المسند إليها معادل عمليا للحقيقة ممتنعة الإدراك.

كما نشأت "طائفة من الأطباء اعتنقوا الشك أو طائفة من الشكاك واحترفوا الطب، وأخذوا بالموقف الهادم السلبي، فأقاموا الفن بديلا عن العلم، وعرفوا بذلك بالتجريبيين أشهرهم:

[1] . ماجد فخري، **تاريخ الفلسفة اليونانية** (ط1، دار العلم للنلايين، 1991)، ص 98.

سكتوس (عاش في القرن الثاني للميلاد)، ألف موسوعة المذهب الشكي تضمنت أخبار الشكاك وحججهم نبه فيها إلى أن دحض أصحاب اليقين لا يعني البرهان على أنهم مخطئون ، ولكن يعني أنهم غير محقين"[1]، وان الشاك يدرك الظواهر وترابطها ، فيكتسب تجربة تؤدى به إلى توقع بعضها عند حدوث بعض، فيحصل بذلك على الفن، أي على جملة نتائج الملاحظات في موضوع ما "واليأس من بلوغ إلى العلم يجعل الشاك في موقف الرجل الساذج والشاك هنا يعتقد أنه ليس هناك تفسير يبحث، عنه و لكن مهما يحرص الشاك على تعليق الحكم، فان الحياة تضطرهم إلى قبول اليقين أيا كان مقداره، وتؤدي به إلى الأسباب الأولى التي هي أصول العلم ومنه نستنتج أن شك اليونانيين القدامى كان حول الحس والعقل.

من خلال هذا المبحث، نجد أن هناك اختلافا بين الشك لدى المفكرين والفلاسفة وكل منهم يوجه شكوكه إلى أمر معين، فهناك من يشك في الدين والآلهة، وهناك من يشك في الحقائق المدركة وهناك من يوجه شكه للعقل والحواس حيث نجد هذه الأخيرة نالت قسطا كبيرا من الشك، وذلك باعتبارها خادعة لا يخرج من خلال الشاك بنتيجة يقينية صحيحة.

[1] – يوسف كرم ، مرجع سابق ، ص ، 240–242.

الفصل الثاني

دور الشك في بناء المعرفة الصحيحة عند الغزالي

المبحث الأول: مراحل أزمة الشك عند الغزالي.

في هذا المبحث نحاول بقدر الإمكان، أن نوضح و نبين كيف أصيب الغزالي بما يسمى بأزمة الشك، و نتحدث عن هذه الأزمة التي مر بها، وطبيعة الشك عنده التي كان لها أبعاد معرفية أكثر منها نفسية، فهذه الأزمة أصابته بسبب الشكوك والحيرة التي استولت عليه وأمرضته في نهاية الثلاثينات من عمره، مع العلم أن السن الذي أصيب فيه الغزالي بهذه الأزمة النفسية والفكرية غير متفق عليه.

فالشك كغيره من الظواهر النفسية لا يظهر فجأة وإنما يدب إلى النفس دبيبا خفيا حتى ربما لا تشعر به نفس صاحبه، ثم لا يزال يقوى على الأيام شيئا فشيئا حتى يضايق النفس، ويخنقها، كذلك قد يصيب المرء لأسباب عدة يعاون بعضها عمل بعض، وقد يخفي بعض هذه الأسباب حتى لا تقع على أعين الباحثين، لذلك يختلف كثيرا حول تحديد زمنه وكذلك تحديد أسبابه، فمن هنا اختلف الباحثون حول تحديد زمن هذه الأزمة التي انتابت الغزالي.

ومن هذا القول نفهم أن الشك عبارة عن مرض نفسي يصيب الإنسان دون إعطاء مؤشرات مسبقة فلا يدرك الإنسان كيف ومتى أصيب بهذا المرض النفسي، لذلك لا يمكن لنا تحديد زمنه ولهذا لم يستطع الباحثين أو المفكرين تحديد زمن معين للأزمة النفسية والفكرية التي أصابت الإمام الغزالي. [1]

يبين لنا الإمام الغزالي أن أزمته اشتدت عليه مرتين الأولى دامت نحو شهرين قبل تبنيه للتصوف، والثانية دامت قرابة ستة أشهر بعد اختياره للتصوف، فأزمته الأولى يذكر لنا الغزالي

[1] – د سليمان دنيا . **تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي** .(ط4 ، القاهرة: دار المعارف ب مصر) ص 52 .

أنه شك في كل من الحواس والبديهيات، ودامت هذه الأزمة مدة شهرين بالتقريب، وهو على مذهب السفسطة، وفي هذا الصدد يتحدث الغزالي وهو يصف حالة الشك التي عصفت به عصفا شديدا قائلاً: ثم فتشت علومي فوجدت نفسي عاطلا من كل علم بهذه الصفة – اليقينية– إلا في الحسيات والضروريات الجليات فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان أو الوثوق في المحسوسات وأخذ الشك يتسع فيها وتقول نفسي: من أين الثقة بالمحسوسات وأقوالها حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحركا، فلعله لا ثقة بالعقليات التي هي من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة، فقالت الحواس بم تامن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت إشكالها بالمنام إما تراك ترى في النوم أمورا وتتخيل أحوالا ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك أصل وطائلً .[1]

من خلال هذا القول يتبين لنا أن الغزالي شك في جميع الحقائق المتعارف عليها وبدأ يبحث بنفسه عن الحقيقة لكي يتوصل هو بجهده على اليقين، حتى يصبح إيمانه بالإسلام قائما على الاقتناع الذاتي وليس على الوراثة من الوالدين، فإذا تتبعنا أهمية الشك في مؤلفات الغزالي، فإننا نستطيع أن نبين أنه قد دعا منذ البداية إلى الاستقلال العقلي، وفحص كل الآراء المدرسية والطائفية التي واجهها في عصره، فهو يتحدث على سبيل المثال في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد، عن ضرورة فحص الحقيقة فحصا مجردا غير مسبوق بأحكام معينة ويقول في ذلك: " ...طائفة اعتقدوا الحق تقليدا و سماعا "[2].

[1] . أبو حامد الغزالي . **المنقذ من الضلال** . حققه و قدمه له د .جميل صليبا، د. كامل عياد (لبنان ، بيروت : دار الأندلس) ص 80.

[2] . أبو حامد الغزالي . **الاقتصاد في الاعتقاد** (ط2 مصر: مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1327ه) ، ص 07.

وقد اتجه الغزالي إلى فحص معارفه عساه يقع على علم يوصله إلى اليقين، فوجده في الحسيات و الضروريات ، ويقول عن ذلك في المنقذ من الضلال : "فقلت الأن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات من الجليات و هي الحسيات و الضروريات " [1]، وهنا أقبل الغزالي يتأمل في المحسوسات والضروريات بجد بالغ حتى يرى إن كانت ثقته بالمحسوسات و الضروريات على صواب و لكي يعرف ذلك شك في الحسيات .

الحسيات:

اهتمام الغزالي بمعرفة حقائق الأشياء دفعه إلى الشك في الحسيات، وفحصها لمعرفة مدى يقينها ، فطالما صدق الغزالي المعارف التي تأتي عن طريق الحس، وبعد تأمله العميق تبددت ثقته بها، واكتشف أن الحواس تخدعنا وأنها غير يقينية، ومرد ذلك أن الغزالي لما شاهد خداع البصر الذي يجعلنا نرى الأشياء عكس حقيقتها، فنحن مثلا : نرى الكوكب صغيرا كالدينار في حين تثبت الأدلة الهندسية أنه أكبر من الأرض، وهذا ما يذكره في المنقذ من الضلال فيقول: " وننظر إلى الكوكب فنراه صغيرا في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار " [2] ، فلما اتضح للغزالي خداع الحواس وأنها لا تقدم لنا معارف يقينية راح يبحث عن إمكانية الوصول إلى الحقيقة ضمن نظام العقل.

وقد تحدث الغزالي في معيار العلم عن خداع الحواس، وأتي بأمثلة عن ذلك وعرضها بالتفصيل في المنقذ، وفيه لم يقتصر على ذكر أمثلة الخداع في المعرفة الإنسانية على الإطلاق

[1] . أبو حامد الغزالي . **. المنقذ من الضلال** ، المصدر السابق، ص، 82 .

[2] – أبو حامد الغزالي ، **المنقذ من الضلال**، المصدر السابق، ص، 83.

وقال بوجود "حاكم حسي وحاكم وهمي وحاكم عقلي وأن المصيب من هؤلاء جمعيا هو الحاكم العقلي" [1]، وهذا بعد اكتشافه خيانة هذين الحاكمين الحسي والوهمي، ويقرر الغزالي في المنقذ من الضلال، أن المعارف الحسية جميعها غير يقينية، ولذلك فهي لا تمثل علما حقيقيا ويقول على ذلك : "من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة بغتة بل على التدرج ذرة ذرة " [2] .

لما رأى الغزالي ما تنطوي عليه المعارف الحسية من خداع وشكوك فقرر رفضها، ثم راح يبحث عن الحقيقة في المجموعة الثانية (العقليات الأولية) ويفحص مدى يقينها.

العقليات:

بعد أن فقد الغزالي ثقته بالمحسوسات لجأ إلي العقليات وحاول التأكد من صدق أحكامها و انتهى به طول التشكك إلى نفي هذا الاعتقاد بعد أن إعترضته شبهات هدمت هذا اليقين بأوليات العقل، فيقين المبادئ العقلية يبدوا في بادئ الأمر غير قابل للشك، غير أن الغزالي وضع العقل كله موضع تشكك، وهكذا انتقل الغزالي من المعارف الحسية لفحص مدى يقين المعارف العقلية الأولية و مدى شرعيتها واختيارها، و يصور الغزالي ذلك قائلا: " فقالت المحسوسات بم تؤمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقا بي فجاء

[1]– أبو حامد الغزالي . **معيار العلم في المنطق** ، شرحه أحمد شمس الدين (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية 1990) ص 84

[2] – أبو حامد الغزالي . . **المنقذ من الضلال** ، المصدر السابق، ص، 84 .

حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر علي تصديقي" [1]، ويتضح من هذا القول أن الغزالي كان يصدق المعارف الحسية لولا تدخل العقليات التي وضعها موضع التشكك، وذلك بمساعدة تأملات خارجية أوحت بوجود حاكم أخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه، ويعبر الغزالي عن ذلك بقوله أن وراء إدراك العقل حاكما آخر يكذب العقل في حكمه، كما كذب حاكم العقل الحواس في حكمها، فعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته، ومن خلال هذه النظرة العميقة، يبدوا أن الشك قد اتسع نطاقه عن طريق هذه الأفكار إلى مدى ليست له نهاية [2].

بعد هذه الاضطرابات والشكوك يشير لنا الغزالي أن النفس عادت إلي الصحة والاعتدال أي بعد مرض دام مدة شهرين ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ولم يكن دلك نظم دليل ولا ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف اليقينية وذلك بقراءته النقدية لكتب المتكلمين والفلاسفة والشيعة الأمامية والصوفية، وسنوضح كيف كانت قراءة الغزالي النقدية لهذه الفرق في المبحث التالي، فمن خلال هذه القراءة النقدية يحاول الغزالي البحث عن الحقيقة التي تمكنه من الوصول إلي اليقين القلبي، و بعد مروره بهذه المراحل ذهب للتصوف حيث تبناه كعقيدة، فكان عليه ممارسة عبادات التصوف لكي يصل إلي اليقين الصوفي، فهنا وجد نفسه تحت صراع بين ما هو دنيوي كبقائه في التدريس ببغداد، وبين ما هو ديني متعلق بالتصوف كممارسة لعبادات التصوف، والابتعاد عن حياة الدنيا، فاشتدت عليه الأزمة و بطلت معه قوة الهظم ومرارة الطعام والشراب، حتى أن الأطباء

[1] – المصدر السابق، ص 86.

[2] – المصدر السابق، ص 87، 88.

فقدوا الأمل من علاجه ، و بعد هذه الأزمة الشديدة خرج من بغداد إلى الشام، ثم أدى فريضة الحج، وعاد إلى وطنه وتفرغ للصوفية وممارسة عباداتها، فواظب على ذلك إحدى عشر سنة {488.499هـ}، و فيها خرج من نيسابور داعيا للتصوف ناشرا العلم الصوفي[1]، فطريق التصوف الذي سلكه الغزالي كسبيل للوصول إلي الحقيقة هو طريق المعرفة الذوقية عن طريق القلب {فمن ذاق عرف ومن لم يذق لم يعرف}.

والتصوف عنده هو ظاهرة فلسفية ذوقية حاول تفسير الوجود والموجودات بطريقة خاصة وذلك باللجوء إلى الذوق. وصوفية الغزالي ليست كصوفية العوام فصوفيته صوفية خاصة مستنيرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة واليقين والحقيقة.

هذه هي الخطوط الكبرى التي تلخص الأزمة النفسية والفكرية، التي ألمت بأبي حامد الغزالي، والتي كانت عبارة عن مرحلتين مهمتين في حياته الفكرية، فمن خلالها توصل إلى العلم اليقيني والمعرفة الصحيحة وألف العديد من الكتب التي يشهد لها التاريخ، يبين كيف كان لهذه الأزمة دور كبير في بناء المعرفة الصحيحة، حيث نتوصل إلى أن شك الغزالي هو أزمة فكرية حقيقية وكان شكا واقعيا فلسفيا، وهذا لا يتعارض مع حقيقة أن هذا الشك هو في ذات الوقت أساس لمنهجية التفكير والبحث عند الغزالي، ولهذا كان شكه شكا منهجيا في أسلوب البحث عن الحقيقة والخروج من عقدة التقليد.

فلقد كانت تجربة الشك هذه التي عاشها الغزالي، وعن تجربة الشك التي مرض فيها مرضا شديدا جعله طريح الفراش قرابة الشهرين، تمخضت المرحلة الثانية والهامة في حياة الغزالي

[1] – أبو حامد الغزالي ، مصدر سابق ، ص.91

العقلية ونعني بها الإنكشافية النورانية التي فتحت أمامه أكوانا رائعة لا حدود لها من المعرفة والوجود والأنوار .

المبحث الثاني: نقد الغزالي للفرق والطوائف والمذاهب.

بعد أن شفي الغزالي من مرض الشك الذي كان يمنعه من الوصول إلى الحقيقة ، رضي أخيرا بالضرورة العقلية ميزانا ومقياسا غير أنه بقي يشكك في صحة إدعاءات الفرق والمذاهب انطلاقا من الواقع الذي كان في عصره، وشبه هذه الكثرة الهائلة من الآراء والمذاهب والنظريات التي واجهته ببحر عميق غرق فيه الأكثرون ولم ينج منه إلا الأقلون، وتساءل كيف نجت هذه الطوائف الكثيرة من البحر العميق وتوصلت إلى الحقيقة، فاتجه لدراسة هذه الاتجاهات الفكرية في حماس بالغ. كما يقول هو نفسه: " ولم أزل في عنفوان شبابي منذ أن راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن عن الخمسين، اقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته فيه حوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محق ومبطل " [1]، ويسلك الغزالي في نقده للفرق سبيلا لا يحيد عنه، فهو قبل الحكم على أيه فرقة يتعمق في دراستها ويصنف فيها، وابتدأ دراسته بالمتكلمين.

[1] . أبو حامد الغزالي . **المنقذ من الضلال**، المصدر السابق، ص،ص 64-79 .

أولا: للمتكلمين.

ابتدأ الغزالي في دراسته للفرق بالمتكلمين، وقصد من وراء دراسته إثبات صحة المقدمات و الأسس التي اعتمد عليها المتكلمون في دفاعهم عن العقيدة بالإيجاب أو السلب فيقول في ذلك: " ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته و عقلته و طالعت كتب المحققين منهم و صنفت فيه ما أردت أن أصنف ، فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي و إنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنه و حراستها عن تشويش أهل البدعة" [1]، وقد استطاع المتكلمون حسب الغزالي الدفاع عن العقيدة وتمكنوا من إقناع طائفة معتبرة من الناس، والكلام إذن هو وسيلة للدفاع عن الحق لا أداة للكشف عنه، وهذا ما عبر عنه الغزالي في مختلف كتبه باعتبار أن منفعة علم الكلام تتمثل في شيء واحد وهو دراسة العقيدة والدفاع عنها، وقد اختلف الغزالي مع المتكلمين في السبل المؤدية إلى اليقين مم يعلمون، ومع أنه تبنى مذهب الأشاعرة وسلك طريقهم، إلا أنه لم يلتزم بجميع ما قالوا به بل خرج عن بعض أرائهم وتعاليمهم " [2].

ثانيا: للفلاسفة.

انتهي الغزالي من علم الكلام وانتقل إلى الفلسفة فتعمق في دراستها بمجرد المطالعة ومن غير استعانة بأستاذ، حتى يتبين ما فيها من لبس وخداع : وقال في ذلك : " ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم من لا يقف على منتهي ذلك العلم " ، وبعد أن انتهى من دراستها صنف فيها و وجد أن الفلاسفة ثلاثة أصناف:

---

[1] . أبو حامد الغزالي ,**المنقذ من الضلال** (ط5, دار الكتب الحديثة بعابدين 1835) ص81.

[2] – د كامل محمود، المرجع السابق ص170.

أ. **الدهريون:** وهم فلاسفة أقدمون جحدوا الصانع، وزعموا أن لا خالق للعالم فهم زنادقة.

ب. **الطبيعيون:** وهم فلاسفة بحثوا في الطبيعة ومارسوا علم التشريح فأمنوا بإله خالق حكيم وقالوا بفناء النفس البشرية، وأنكروا الآخرة، وانهمكوا في المعاصي والملذات والشهوات، فهؤلاء أيضا زنادقة، وذلك لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر.

ج. **الإلهيون:** وهم فلاسفة متأخرون أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، وهؤلاء ردوا على سابقيهم غير أن الغزالي انتقدهم أيضا مستبيقا بعض كفرهم كما أنه " قسم علوم الفلاسفة إلي ستة وهي: العلوم المنطقية ، الرياضية ، الطبيعية، الإلهية، السياسية، و الخلقية " ونظر إليها من حيث صلتها بالدين وينتهي الغزالي من بحثه في الفلسفة ليست طريق الإيمان اليقيني بل هي تهديم لكثير من عقائد هذا الإيمان " لأنه درسها و فهم معانيها و ألف فيها و صنف حتى كان أيتها المعجزة، و حجتها البالغة غير أنه خرج عنها ، محدثا بذلك تطورا عظيما في تاريخها "[1].

ثالثا: الباطنية.

اتجه الغزالي لدراسة الباطنية حتى يعرفها أيضا ورأى أن الباطنية يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم، و دراسته لها كان بأمر من الخليفة السني المستظهر بالله حتى يكشف للناس ضلالها ، فدرس الغزالي الباطنية وهي الأخرى صنف فيها و أتت تأليفه محكمة الترتيب مبالغة في تقرير الحجة حتى اعتبرها البعض أنها سعي إليهم لا

[1] – أبو حامد الغزالي تهافت الفلاسفة تحقيق .

عليهم ، وقد رد الغزالي على الباطنية ردا اعتمد فيه على العقل والمنطق لتفنيد حججهم القائلة بالإمام المعصوم شارحا حقيقتها مهاجما لها و مبينا خطرها، حيث يرى الغزالي في هذا الصدد أن نابغة التعليمية قد نبغت معه وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق فعنى له أن يبحث في مقالهم لكي يطلع على ما كان في كنانتهم، وقد أظهر الغزالي فساد الباطنية في عدة كتب منها كتاب المستظهري، كتاب حجة الحق، و القسطاس المستقيم، ببراهين عقلية قوية [1].

رابعا: للصوفية.

بعد أن انتهى الغزالي من حربه مع الباطنية شرع في دراسة الفرقة الرابعة ، وهم الصوفية، ومن خلال دراسته: فيما خلفه مشايخ الصوفية كالمكي المحاسبي الجنيد والبسطامي، ظهر له أن طريقتهم تختلف عن الطرق السابقة بأنها علم وعمل لا علم فقط، بل إن أخص خواصهم لا يمكن الوصول إليها بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، وقد مر الغزالي نفسه بالتجربة لمدة عشر سنين قضاها في التصوف، حيث انكشفت له أمورا لا تعد ولا تحصى، ومما انكشف له أن الصوفية أصوب الطرق، وذلك لأمور كثيرة أهمها: أنهم يستهدون النبوة، وأنهم يصلون إلى أفضل النتائج و خلقهم أفضل خلق وسيرتهم أحسن السير.

وبعد دراسة الغزالي للصوفية و خوضه تجربتها امن بها فكرة و سلوكا، لكن ذلك لم يمنعه من أن يهاجم ما فيها من تطرف و مجانبة للحق و أن ينتقد أصحابها نقدا مرا.

[1] – يوحنا قمير، المرجع السابق ص 27.

فقد امتلأت نفس الغزالي بمطلب الحقيقة الخالصة ، فالحقيقة بالنسبة للغزالي ليست أمرا تقرره غالبية الأصوات، كما لم تكن أبدا خاضعة للرأي المتقلب، فكلما ازداد تفكيره عمقا، كلما ازدادت دائرة شكوكه اتساعا لتمتد إلي كل المجالات، التي تفصل بينه وبين حقيقة الفطرة الأصلية، التي يسعى إليها، فهو لا يريد لنفسه الانتساب إلى فرقة أو مذهب خاص، ولا أن يربط تفكيره بجماعة من جماعات العلم ليفكر تفكيرهم و يذهب مذهبهم، بل كان شعاره الدائم " لا تعرف الحق بالرجال ، بل أعرف الحق تعرف أهله " [1].

إن أزمة الشك التي مر بها الغزالي كان لها دور كبير في بناء فكره، وذلك بسعيه محاولا الوصول إلى الحقيقة فالغزالي لم يقتصر عن الشك في الحسيات والعقليات، فقد ذهب إلى أبعد من ذلك وهو دراسة الفرق والمذاهب دراسة نقدية، وذلك ليبين بطلان مذهبهم ويهاجم كل من يدعو إلى التقليد، حيث هاجم الفلاسفة و يظهر ذلك في كتابه الشهير الذي ألفه بعنوان "تهافت الفلاسفة" فأخذ الغزالي بنقد كل الفرق التي كانت معرفتها محل شك بالنسبة له، وهذا ما جعل العديد من الفلاسفة لا يتقبلوا فكر الغزالي وقاموا بالرد عليه، ويظهر ذلك جليا في كتاب معارض لكتاب تهافت الفلاسفة وهو " تهافت التهافت " لابن رشد من أجل الرد على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة.

[1] – د كامل محمود، المرجع السابق ، ص ،255 256.

المبحث الثالث: اليقين و الكشف النوراني (الصوفية).

بعد عرضنا في المبحث الذي سبق المتمثل في قراءة نقدية للفرق من قبل الغزالي ومن بينهم الصوفية، سنتناول في هذا المبحث كيف كانت الصوفية سبيلا لإخراج الغزالي من شكه، محاولين عرض أهم النقاط التي ركز عليها الغزالي في صوفيته، وكيف وصل من خلالها إلى اليقين.

فالغزالي لم يستسلم في بحثه عن الحقيقة بالرغم من أنه لم يجد الحل، حيث ظل محجوبا عنه في بادئ الأمر، وأرجع الغزالي ذلك إلى أن المعرفة العقلية الأولية التي يبحث عنها لا يمكن إدراكها إلا بمساعدة معارف عقلية أولية وهي تلك التي يبحث عن يقينها، حيث يقول في ذلك : " فلما خطرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر إذ لا يمكن دفعه إلا بدليل ، ولم يكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية ، فإذا لم تكن مسلمة لم يكن ترتيب الدليل، فأعضل هذا الداء و دام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق و المقال "[1] ، ونلاحظ من خلال هذا القول ، أن الغزالي بحكم الأزمة التي حلت به ، كان يعتبر نفسه كالسفسطائي أثناء مرحلة الشك التي كان يمر بها ، و ذلك لأن إدارة الحقيقة المطلقة لديه، قد حالت بينه و بين السفسطة .

لقد اكتشف الغزالي طريق المعرفة النورانية بعد معاناته الشكية الأولى على غير موعد وعلى غير توقع أو انتظار، حيث أن هذا الشك الذي عصف بعه عصفا حتى كاد أن يهلكه إهلاكا، فقد اعتبر الحواس ليست بذات يقين فهي خداع و وهم، و أن العقل ليس بأحسن حظا

[1] – أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، المصدر السابق ، ص 79.

من الحواس لأنه لا يفرق بين اليقظة و المنام العادي، و إنما هو نوع من المنام الذي يوشك أن يعقبه الصحو، كل ذلك أدى بالغزالي بما سماه بالمرض حتى شفاه الله منه حيث يقول:" إلى أن شفى الله تعالى من ذلك المرض و عادت النفس إلى الصحة و الاعتدال، و رجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين، ولم يكن دلك بنظم دليل و ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر و ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة، فقد ضيق رحمه الله تعالى الواسعة " [1]، ومن الواضح أن الغزالي عانى الكثير من هذا الشك الذي جعله لا يثق في أي شيء، لا في الحسيات ولا في العقليات، كل هذا جعل الغزالي يستمر في بحثه عن الحقيقة ويتمسك بفكرة الوصول إليها، حتى أتاه الفرج وحلت جميع مشاكله وارتاحت نفسه، لكن السؤال المحير الوصول إلى كيف توصل إلى اليقين ؟

الغزالي وهو قابع في ظلامه لمح نورا فأضاء أرجاء قلبه وبدد ظلام روحه وصدره ويقول : د. زكرياء بشير عن مصدر ذلك النور أنه جاء من مصدر إلهي حيث كان فيضا إلهيا وكشفا إلهاميا حدث له بدون توقع أو رجاء أو انتظار، فهو كان مخلصا في السعي وراء الحق، ولكنه لم يهتدي إليه بالوسائل العادية بل جاءته العنايه الإلهية وأدركه الجود الرباني وفي لمحة أضاء الأفق كله وزال الهم والشك كله، فقد استجاب الله لداعوات الغزالي الحارة و الصادقة ، فجاءه المدد الإلهي نورا حيث شاهد الغزالي من خلالها أمورا لا تحصى، و نزل على قلبه الطمأنينة و تحقق اليقين، " وكان هذا النور بمثابة البلسم الشافي للداء العضال الذي ألزمه الفراش ما يقارب

[1] – المصدر السابق ، ص ، 80.

الشهرين، مما جعله يقتنع بقبول العقل و القضايا البديهية من دون إلحاح في طلب البرهنة لها " ، وقد عجز كثير من الدارسين للغزالي من التفطن إلى أهمية تلك التجربة النورانية التي كانت تجربة لا تنسى وحدثا هاما وغير عادي.

ولقد خصص الغزالي حيزا كبيرا للحديث عن تلك الإنكشافة ذات الأهمية البالغة و ظل يعلق عليها زكريا بشير إمام بعبارات منبهرة بقوله: " أنها نور قذفه الله في قلبه، وأن ذاك النور هو من جود الله و رحمته، أنها تمثل أعظم مفاتيح العلوم، و أنها هدته إلى الوثوق بالعقل و بأحكامه الضرورية، أنها أنقذفه من الشك و الضياع، و شفته من داء السفسطة المهلك ". [1]

وهكذا اهتدى الغزالي إلى منهجية لمعرفة الحقيقة و الوصول إليها: أحدهما موضوعي وهو معيار المنطق و مناهجه، و أخر ذاتي وهو طريق التصوف و الوصول من خلال مجاهدة النفس إلى الحضرة الإلهية و تلقي المعرفة المباشرة منها.

وفي أخر كلامنا عن الصوفية، التي كانت حلا بالنسبة للغزالي للخروج من دائرة شكوكه نستنتج أن النور الإلهي يساعد الإنسان على إدراك الحقائق اليقينية التي تعجز عقولنا و حواسنا على إدراكها، وهنا يرى الغزالي أن هناك حقائق يقينية أعلى من العقل البشري لا يدركها إلا من لجأ إلى الصوفية، أي من التصوف فالطمأنينة عادت إلى الغزالي بعد أن توصل بواسطة هذا النور الإلهي إلى اليقين القلبي، وهذا ما جعله يشفى من مرضه وهو الشك حيث تيقن من وجود الله ووجود نفسه ووجود العالم الخارجي، لأن اليقين القلبي بوجود الله يجعل الإنسان متيقنا من

[1] . زكرياء بشير إمام **. الفلسفة النورانية عند الغزالي** . (الكويت : مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع ، 1989) ص ص 89 –91.

صحة مخلوقات الله، وهنا جعل الغزالي من النور الإلهي والحدس القلبي وسيلة لإدراك مختلف حقائق الوجود التي كانت محل شك سابق لديه.

الفصـــل الثالث

المقارنة بين منهج الشك عند الغزالي

و ديكارت وتقييم نقدي

المبحث الأول : الشك بين الغزالي و ديكارت.

في هذا المبحث سنعرض مشكلة الشك عند كل من الغزالي وديكارت * لكي نبين نقاط الاتفاق و الاختلاف بين كل من الشك الغزالي والشك الديكارتي ولعرض هذه النقاط يجب علينا أن نوضح كيف كان شك كل منهما، فالغزالي مر بأزمة شديدة جراء الشك الذي جعله منهجا للوصول إلى الحقيقة ولقد بينا ذلك في ما سبق ولكن هنا يجدر بنا الإشارة إلى أن الشك عند ديكارت، كان شكا منهجيا من أجل الوصول إلى اليقين، لا شكا مذهبيا أو مطلقا، حيث أنه شك في كل شيء، كما شك في قدرة العقل الإستدلالية رغم أنه كان على ثقة بالعلوم الرياضية لأن المعارف الرياضية بديهة ولكن الناس يخطئون أحيانا في إستدلالاتهم الهندسية وهنا توصل ديكارت إلى أن هنالك شيطانا ماكرا هو الذي يؤثر في فكر الإنسان لدرجة الخداع حتى في الحقائق و البديهيات ، ولكن هنا لاحظ ديكارت أن هناك شيئا واحدا جعله ينجو من شكه وهو وجوده ككائن يشك وذات مفكرة حيث يرى في هذا الإطار أن يقينه بأنه موجود من خلال حالات الشك، يقينه بوجوده ككائن حقيقي لا يستطيع الشيطان الماكر أن يشككه في ذاته وبهذا حقق ديكارت قضيته الشهيرة في تاريخ الفكر الإنساني وهي قضية الكوجيتو (أنا أفكر إذن أنا موجود) [1].

[1]. ابرهيم مصطفي إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (الإسكندرية_ مصر: دار الوفاء لدنيا الباعة و النشر، 2001 م) ، ص47 _48 .

*ديكارت: (1650-1596م) فيلسوف رياضي وفرنسي لقب بأبو الفلسفة الحديثة.

بعد أن اتضح لنا كيف كان الشك عند ديكارت من هنا يمكن لنا أن نعقد مقارنة بين الشك عند الغزالي و الشك عند ديكارت و ذلك بعرض مجموعة من نقاط التقارب و التباين بين شكهما.

أولا:أوجه التقارب و التشابه بين شك كل من الغزالي و ديكارت:

من الناحية الإجتماعية نجد أن كلا من الغزالي وديكارت عاش في عصر شهد إضطرابات عقلية و مذهبية و تدني المستوى الفكري و ركوده، وعجز الفلاسفة عن تقديم المساعدة لأنهم لم يكونوا يملكون الاستقلال العقلي المطلوب بل كانوا مجرد مقلدين.[1]

ولهذا كان من الضروري أن يضع كل من الغزالي و ديكارت أمام عينيه مهمة تجديد الفكر و محاربة التقليد و الإلحاد الذي كان منتشرا في عصرهما، حيث كان يشير إلى أهمية تحرير المرء لنفسه من الميل إلى التبعية العقلية و هكذا تستطيع القول أن الإستقلال العقلي كان المسلمة الأول لفلسفتهما.

أما فيما يخص الناحية الفكرية فنجد أن كلا من الغزالي وديكارت يشتركان في الطريقة الفلسفية الحقيقية التي بواسطتها توصلا في النهاية إلى حل، فالإجابة عن المسألة الحقيقة لا يمكن أن توجد إلا على أساس تأمل فلسفي حقيقي، حيث يرى الغزالي أن الشك في جميع المعارف التي يتلقاها الإنسان عن طريق التقليد أمر ضروري أثناء التطور العقلي بإعتبار الشك

[1]. محمود حمدي زقزوق ، **المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت**،(ط2 ،القاهرة_ مصر: دار النشر، مكتبة أنجل المصرية ، سنة 1981 م)، ص،45.

وسيلة للوصول إلى الحقيقة وكثيرا ما يشبه الغزالي في مواضيع كثيرة من كتبه المقلد بالأعمى فيقول على سبيل المثال (ومن قلد أعمى فلا خير في متابعة العميان) وفي هذا الصدد يقول ديكارت أيضا " أن الإنسان الذي لا يتفلسف بإنسان لا يستخدم عينيه عند المشي بل يغمض عينيه و يسترشد بشخص آخر"[1].

فأهم السمات التي تميز كل من فلسفة الغزالي و ديكارت تتمثل في التحرر من كل تبعية عقلية، ونجد أيضا أن كل منهما إعتمد على الشك المنهجي للوصول إلى الحقيقية معتمدين على وعيهما بضرورة وجود حقيقة واحدة مطلقة، فلقد إتبعا أسلوب الشك المنهجي بإعتباره منهج بفترضه صاحبه بإرادته، فهو وسيلة وليس غاية وهو خطوة مهمة للوصول إلى اليقين فلقد إتفق كل منهما على أن الشك المنهجي هو المبدأ الأمثل للتحرر من كل الخيالات و الأحلام فالوسيلة الأساسية للمعرفة هي المنهج الشكي[2]، وإذا تطرقنا إلى مراتب الشك التي يمر بها كل من الغزالي وديكارت ، فنقول أنهما إنتقدا المعرفة الحسية حيث لم يستطع كل منهما الوصول إلى إجابة كافية عن سؤالهما الذي يتعلق بحقائق الأشياء التي وضعوها موضع شك لأن المعارف التي نتوصل إليها عن طريق الحواس، تبدو لنا في الظاهر معرفة مباشرة وسهلة الفهم، في حين بعد ذلك يتضح عكس ذلك لأن التجربة تبين ما تنطوي عليه من أوهام، وضلالات، وذلك ما ذهب إليه الغزالي وديكارت حيث اعتبرا الحواس خادعة، لهذا لم يسلما بها كوسيلة للوصول إلى الحقيقة بعد اكتشاف كل من الغزالي وديكارت خداع الحواس كان لابد من

[1]. نقلا عن ابرهيم مصطفى ابراهيم، المرجع السابق ، ص 49، 53.

[2]. محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق ، ص69 ، 70 .

الإنتقال لفحص مدى يقين المعارف العقلية، التي كانت تبدو في البداية غير قابلة للشك وهو ماتحدث عنه الغزالي في قوله " فلعل وراء إدراك العقل حاكما أخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلى ذلك الإدراك لا يدل إستحالته.[1]

وهذا القول يوضح لنا أن الغزالي شك في كل من الحس و العقل و هذا ما جعل دائرة شكوكه تزيد إتساعا لأنه سحب ثقته من المعارف الحسية و العقلية و هو الأمر نفسه عند ديكارت .

ثانيا: أوجه التباين والاختلاف بين شك كل من الغزالي و ديكارت.

من خلال ما عرضناه فيما يخص الشك عند الغزالي والشك عند ديكارت موضحين نقاط التقارب و التشابه لكل من شك الغزالي والشك الديكارتي نرى أن هذه النقاط لا تعني بالضرورة أنه لا يوجد اختلاف فكل منهما اتخذ طريقة فلسفية خاصة به للتغلب على هذا الشك الفلسفي، ولعل من أهم نقاط الاختلاف ما يلي:

من الناحية الاجتماعية: لقد أشرنا فيما سبق أن هناك نقاط تشابه في كل من عصر الغزالي و ديكارت على العموم، إلا أن هناك فروقا أساسية بين كل من العصر الذي عاش فيه الغزالي و العصر الذي عاش فيه ديكارت، تلك الفروق تعمل دورا كبيرا في إتخاذ كل منهما طابعا خاصا به يظهر بوضوح في طريقة تفكيرهما فبالنسبة لعصر الغزالي فلقد كان مزدحما

[1]. أبو حامد الغزالي ، **المنقذ من الضلال** ، المصدر السابق، ص 87 .

بمشكلات دينية متعددة، فظهرت إتجاهات مختلفة دينية كانت أو فلسفية، وقد كان الفكر عندهم قائما على التقليد وهذا ما شكل مشكلة كبيرة في عصر الغزالي، لهذا رأى أنه من الضروري محاربة و مكافحة كل أشكال التقليد، أما فيما يخص عصر ديكارت فقد إتسم بوجه خاص بالإكتشافات الهامة في مجال العلوم و شروحها.

من الناحية الفكرية: نجد أن كل من الغزالي و ديكارت اتخذ نفس الطريق للوصول إلى المعرفة الصحيحة، وذلك باتخاذهم الشك المنهجي كوسيلة إلا أننا نجد كل من الغزالي وديكارت توصل إلى حل لأزمته بطريقته الخاصة، فالغزالي انتهي من أزمته الفكرية التي أدت به إلى الشك المطلق و جعلته يشك في كل من الحسيات و العقليات التي وصفها بأنها مرض، فلقد خرج من دائرة شكوكه الواسعة عن طريق الصوفية التي جعلته يخرج من شكه و عادت من خلالها النفس إلى الصحة و الإعتدال و ذلك بنور قذفه الله تعالى في الصدر على حسب وجهة نظره، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ومن خلال هذا نستنتج أن الغزالي توصل إلى اليقين و إستطاع الخروج من شكه عن طريق الحدس الصوفي [1].

أما بالنسبة لديكارت فلقد توصل إلى فكرة يقينية مسلم بها وهي أنه موجود، بعدما مارس الشك ووصل به الأمر إلى الشك المطلق، وكذلك رغم الضلال الذي كان فيه، حيث توصل إلى قضيته المشهورة " أنا أفكر إذن أنا موجود" التى يسيمها بالمعرفة الأولى، حيث رأي أن قضية " أنا كائن، أنا موجود" صحيحة مادام يفكر فيها، و يعتبر أيضا مادمت أفكر أنا موجود و متى

[1] ـ أبو حامد الغزالي , المنقذ من الضلال ,ص 82 .

إنقطعت عن التفكير إنقطعت عن الوجود، ويعتبر أن المعرفة الأولى هي معرفة واضحة، ومتميزة جدا فهو صادق، وهذه المعرفة لا تستطيع أن تنتج الحل من ذاتها و إنما واجبها فقط هو عزل كل المعارف، ونجد أن نتيجة البحث التى توصل إليها ديكارت إنما هي معرفة مدركة إدركا مباشرا و تلك هي معرفة وجود الله، وليست نتيجة برهان عقلي منطقي، كما لا يمكن أن يبرهن عليها منطقيا، ويعتبر كذلك أن معرفة وجود الله متميزة واوضحة مثل الكوجيتوه، ولقد توصل ديكارت إلى مصدر الحقيقة وهو الله، حيث قال في هذا الصدد "وإذن فقد وضح لي كل الوضوح أن يقين كل علم و حقيقته إنما يعتمدان على معرفتنا للإله الحق بحيث يصح لي أن أقول: إني قبل أن أعرف الله ما كان بوسعي أن أعرف شيئا أخر معرفة كاملة".[1]

وفي النهاية وصل كل من الغزالي و ديكارت، من خلال شكلهما المنهجي إلى أن معرفة الله هي المصدر الرئيسي للمعرفة الحقيقية، حيث أن الله هو مصدر كل نور، أما بالنسبة للطريقة عرض الحل الذي توصل إليه كل من ديكارت و الغزالي بصفه خاصة فإنها تختلف من الناحية الشكلية فحسب، وليس بالموضوع و نشير إلى هذا الإختلاف فيما يلي:

عرض الغزالي في حله كيف ارتفع الشك مباشرة عن طريق اليقين المطلق الذي أتت به معرفة الله المدركة إدراكا حدسيا،وقد عرض الغزالي الحل متمثلا في صورة النور الذي قذفه الله في صدره.

[1] ـ فضل الله مهدي ,**فلسفة ديكارت و منهجه** (ط2, دار الطباعة و النشر , بيروت , لبنان: 1986) ص92.

أما ديكارت فقد ميز في عملية رفع الشك على خلاف ما فعله الغزالي، بدرجات متعددة و بطريقة تحليلية أنا كائن و أنا موجود و أنا أفكر فأنا موجود، و أخيرا الله موجود و لهذا فكل ما أدركه في وضوح و تميز فهو حق.[1]

ونلاحظ أن كليهما صرح بأنه لا يقبل شيئا على أنه حق إلا إذا انكشف له انكشافا بديهيا واضحا ، و الفرق بين الغزالي و ديكارت في الخروج من الشك أن الأول جعل النور منبجسا من الجود الإلهي على حين أن الثاني جعله قائما على الكوجيتو، وهو الأمر الذي لم تستطيع رحاب الشك أن تمتد إليه ، و سواء أكان رجوع النفس إلي اليقين بمعونة خارجية أو بنقد داخلي ذاتي فإن أمرا واحدا لا ريب فيه وهو أن مفتاح المعرفة في كلا الحالين هو الحدس.[2]

في الأخير يمكن القول أن كل من الغزالي و ديكارت إتبع الشك المنهجي كمنهج ووسيلة للوصول إلى الحقيقة إلا أن كل منهما توصل إلى اليقين بطريقته الخاصة، فالغزالي توصل إلى اليقين من الحدس الصوفي بينما توصل ديكارت إلى اليقين بالتأمل العقلي و التفكير الرياضي.

[1] –نجيب بلدي, **نوابغ الفكر الغربي (ديكارت)** (ط2,دار المعارف للطباعة و النشر, القاهرة ,مصر:1968) ص 88.

[2] – محمود حمدي زقزوق, المرجع السابق، ص 122.

المبحث الثاني: تقييم و نقد.

أولا: التقييم.

يعتبر الغزالي سيج وحدة في تاريخ الفلسفة الإسلامية ، فقد كان صاحب نهج ومدرسة، انفرد بها وتميز بها بين أقرانه ، فربما كان الوحيد الذي وضع نهجا كاملا متكاملا ، فقد كانت فلسفته صورة صادقة لحياته الشخصية، كان مجددا ومبتكرا ، ولم يكن مقيدا ومكررا ، فقد كان يمثل الجوهر الروحي الصافي للإسلام، ونظرته كانت نظرة دينية صادقة، ومن شهد على هذا أستاذه الإمام الجويني الذي كان يشير إلى نبوغ الغزالي وفكره وفلسفته وهو رغم صغر سنه ، فقد وصفه بأنه بحر مغدق في بعض الروايات، فعندما ألف الغزالي كتاب (المنخول في علم الأصول) وهو لم يزل طالبا للعلم في نيسابور وتلميذا عند الجويني، فقال له الإيمام الجويني في صوت لا يخلو من عتاب وغيرة وحزن :" لقد دفنتني وأنا حي، هلا صبرت حتى أموت ".[1]

و من أحد المؤرخين في حياة الغزالي يقول: " محمد أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام والمسلمين وإمام أئمة الدين من لم ترى العيون مثله لسانا ، وبيانا، ونطقا، وحافزا، وذكاءا، وطبعا، ولد في طوس 450ه تلقى بطوس تعليمه الابتدائي وحافظ القرءان والعلوم اللغة العربية وهو لم يبلغ العاشرة من العمر ثم انتقل إلى جرجان وأخذ طرف من الفقه عن الإيمام أحد الرادكاني ثم قدم في نيسابور مختلف دروس إمام الحرمين لطائفة من الشبان في طوس، وجد

[1] – د. زكرياء بشير إمام، مرجع سابق، ص 266.

واجتهد حتى تخرج عن مدة قريب ، وحمل القرآن ، وصار أنظار أهل زمانه وأوحد أقرانه في أيام إمام الحرمين " .

ومن الذين دونوا سيرة الغزالي في فترة مبكرة جدا صديقه وتلميذه أبوا بكر إبن العربي المتوفي سنة 543هـ وهو صاحب المقولة الشهيرة " شيخنا أبو حامد الغزالي دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منها فما قدر" ونجد في كتاب الفواصم والعواصم معلومات قيمة عن الغزالي وتطوره الفكري والروحي. [1]

ثانيا: النقد.

رغم عظمة تفكير كل فيلسوف و ثراءه المعرفي الذي شهد عليه مجموعة الكتب والمؤلفات التي ألفها، إلا أنه لا يخلو من النقائض و الأخطاء تكون محل نقد من طرف غيره من الفلاسفة و الباحثين و هكذا كانت حياة الغزالي مليئة بالاضطرابات النفسية و الروحية فقد مر بأزمة نفسية و فكرية شديدة جعلت العديد من المفكرين و الباحثين يقفون عندما لهذا نجد الكثير من الانتقادات التي وجهت للإمام الغزالي:

ولعل من أهم هذه الانتقادات التي وجهت إليه انتقاد الكثير من المفكرين لكتاب الغزالي إحياء علوم الدين، فلقد تعرض هذا الكتاب لأول ظهوره لعاصفة من النقد و التجريح ، مما اضطر الغزالي نفسه أن يؤلف كتابا في الدفاع عن (الإحياء)، ولعل من أهم الذين حملوا لواء المعارضة لأفكار الغزالي و لمدرسته الإحياء بوجه الخاص، الإمام ابن تيمية* و تلميذه ابن

[1] – المرجع السابق، ص 266.

القيم المازري* و ابن الجوري* ومن جملة انتقاداتهم لكتابه الإحياء المتمثلة في: استشهاد الغزالي في كتابه الإحياء بالأحاديث الضعيفة و الموضوعة و كذلك وجوه بعض الأحكام التي بينت على هذه الأحاديث و ذكر الكثير من القصص التي تحمل المبالغات في السلوك الصوفي ، هذا كله ما يعتقده معارضون كتاب الإحياء للإمام الغزالي.

إضافة إلى هذا نجد نقد ابن رشد" الذي انطلق من نقطة أن الغزالي ما كان متمكنا من علوم الفلسفة و أنه لم يخصص لدراستها وقتا يكفي للتعمق في مراميها ومصلحاتها و حدودها و أنه قد وقع في التعميم الخاطئ في الرد على الفلاسفة عندما اعتمد على أراء ابن سينا وحده. [1]

ونجد أيضا من الفلاسفة الذين انتقدوا الإمام الغزالي الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل ، فلقد وصف ابن طفيل الإمام الغزالي بأنه متناقض و متضارب في آراءه. [2]

[1] – . د. زكرياء بشير إمام . **تاريخ الفلسفة الإسلامية** ، (ط1، السودان – الخرطوم: الدار السودانية للكتب، 1418هـ . 1998م)، ص270 – 275.

[2] – . د : سليمان دنيا . **الحقيقة في نظر الغزالي** (دار المعارف في مصر ، 1965) ص 76.

*ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (1263م . 1328) ، يلقب شيخ الإسلام .

"ابن القيم : (691هـ . 751هـ) سوريا .

"ابن الجوري: من بغداد (508. 597هـ) .

خاتمة

خاتمة:

من خلال الدراسة التحليلية لموضوع بحثنا، وهو طبيعة الشك عند أبي حامد الغزالي حاولنا في الفصول السابقة أن نقوم بتحليل أهمية الشك في فكر الغزالي، وعلى مختلف الخطوات المنهجية التي كانت أساسا لفلسفته، و استطعنا أن نستخلص مجموعة من النقاط التي يمكن اعتبارها نتائج عامة تأتت لنا بعد هذه الدراسة المتواضعة لطبيعة الشك عند الغزالي و هذه النتائج هي :

. طبيعة الشك عند الغزالي لها أبعاد نفسية و ذلك من خلال الأزمة الشكية النفسية الروحية, التي أمرضته و لها أبعاد معرفية و ذلك بإتخاذ الشك المنهجي كوسيلة للوصول إلى اليقين.

- اعتماد الغزالي على المنهج التحليلي في نقده للتيارات الفكرية فكان يستعرض الرأي أولا ، ثم يقوم بنقده مبينا مواطن ضعفه .
- عندما استعرض الغزالي المناهج العقلية السائدة في عصره و نقدها ، أراد بذلك أن يعطي للعقل حرية أكبر في البحث عن اليقين ، و إبعاد العقل قدر الإمكان عن التقليد.
- مرور الغزالي بأزمة شكية شديدة حاول من خلالها أن يصل إلى المعرفة الحقة عن طريق شكه المنهجي الذي اتخذه كوسيلة للوصول إلى اليقين.

اقتراح الغزالي في نهاية شكه الطريق الصوفي منهجا للوصول إلى اليقين.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

1. أبو حامد الغزالي . **الاقتصاد في الاعتقاد** .(ط2 مصر ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1327هـ)

2. أبو حامد الغزالي . **المنقذ من الضلال** . حققه و قدمه له د . جميل صليبا ، د. جميل صليبا د . كامل عياد (لبنان ، بيروت : دار الأندلس).

3. أبو حامد الغزالي . معيار العلم في المنطق (بيروت ، لبنان شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية 1990) .

قائمة المراجع :

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم **. الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**. (الإسكندرية- مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، 2001).

2. د . كامل محمود، **دراسات في تاريخ الفلسفة العربية** (ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني).

3. د : سليمان دنيا، **الحقيقة في نظر الغزالي** (دار المعارف في مصر ، 1965)

4. د. زكرياء بشير إمام **. تاريخ الفلسفة الإسلامية** (ط1 ، السودان- الخرطوم: الدار السودانية للكتب ، (1418هـ . 1998م).

5. زكرياء بشير إمام . **الفلسفة النورانية عند الغزالي** . (الكويت : مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع ،1989).

6. عبد الرحمن بدوي . **الفكر اليوناني** (ط5 ، بيروت: دار القلم ، 1979) .

7. عبد الرحمن بدوي ، **مؤلفات الغزالي** (ط2، الكويت: نشر وكالة المطبوعات ، 1977).

8. عزت قرني، **الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون،** (ط2، جامعة الكويت: النشر العلمي، 2003) .

9. فضل الله مهدي . **فلسفة ديكارت و منهجه** (ط2 بيروت– لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر، ، 1986).

10. محمود حمدي زقزوق . **المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت** (ط2 ، القاهرة– مصر: دار النشر، مكتبة أنجل المصرية، سنة 1981).

11. نجيب محمود، **نوابغ الفكر الغربي.**

12. يوحنا قمير، **فلاسفة العرب(الغزالي)،**(ط3، بيروت:منشورات الطبعة الكاثولكية، ج1).

13. يوسف كرم . **تاريخ الفلسفة و الترجمة اليونانية** (ط5، مصر: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1966).

14. يوسف مخائيل أسعد ، **سيكولجية الشك** (نشر مكتبة غريب).

15. ماجد فخري، **تاريخ الفلسفة اليونانية** (ط 1، دار العلم للملايين، 1991).

قائمة المعاجم:

1. د. إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي** (القاهرة) 1403هـ، 1983م.

2. أبي حسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، **معجم مقاييس اللغة،** بتحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون(دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ج 3).

فهرس المحتويات:

العناوين	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل الأول: أبو حامد الغزالي ومفهوم الشك.	
المبحث الأول: حياة الغزالي.	06
المبحث الثاني: مفهوم الشك و أنواعه.	10
المبحث الثالث: الشك عند الفلاسفة القدامى.	14
الفصل الثاني: دور الشك في بناء المعرفة الصحيحة عند الغزالي.	
المبحث الأول: مراحل أزمة الشك عند الغزالي.	20
المبحث الثاني: نقد الغزالي للفرق و الطوائف و المذهب.	26
المبحث الثالث: اليقين و الكشف النوراني (الصوفية).	31
الفصل الثالث: المقارنة بين منهج الشك عند الغزالي و ديكارت وتقييم نقدي	
المبحث الأول: الشك بين الغزالي وديكارت.	36
المبحث الثاني: تقييم ونقد.	43
خاتمة	47
المصادر و المراجع	49
فهرس المحتويات	
ملخص الدراسة	

الملخص:

تهدف هذه الدراسة بشكل رئيسي إلى تحديد طبيعة الشك عند الغزالي ، فلقد تناولنا الأزمة التي مر بها الإمام الغزالي وكيف كانت قراءته النقدية للفرق، و تحدثنا عن التصوف الذي كان مخرجا للشك عند الغزالي، مؤكدين ما ذهب إليه من أن الصوفية أو المعرفة الصوفية هي التي تمثل المعرفة الحقيقية، كما تطرقنا أيضا إلي عقد مقارنة بين شك كل من الغزالي و ديكارت، فاستخلصنا إلى أن الشك عند الغزالي هو شك منهجي، أساسه الوصول إلى المعرفة اليقينية، وتمييز الحق من الباطل، وهكذا كان الأمر فيما يخص شك ديكارت أيضا.

الكلمات المفتاحية: الغزالي، الشك المنهجي، اليقين، الصوفية ، العقل.

Résumé:

Cette étude vise principalement à déterminer la nature du doute quand al-Ghazali, nous avons traité la crise vécue par l'imam al-Ghazali et comment la lecture de trésorerie de la différence, et nous avons parlé du mysticisme qui était sortie de doute quand al-Ghazali, ce qui confirme l'opinion du soufi ou la connaissance mystique qui représentent connaissance réelle, également touché à une comparaison de doute à la fois Ghazali et Descartes, extraction de doute que quand al-Ghazali est un doute systématique, la base de l'accès aux certitudes du savoir, distinguer le bien du mal, et il était donc à l'égard de douter Descartes aussi.

Mots clés: Al-Ghazali, le doute méthodique, la certitude, le soufisme, l'esprit